

## الـخبـار

■ الـبـس الـحـبـر،
■ الـحـبـر الـمـسـووك،
■ ابراهيم الميث

■ نالـبـس الـحـبـر،
■ بيار ابـي صـبـب

■ حـبـر الـحـبـر،
■ مـيـفـف قـانـصـو

■ مـجـاس الـحـبـر،
■ مـحـمـد زـبـب

■ حـمـد مـلـف

■ الـبـي حـا

■ الـمـه الـشـرـيـه

■ شـركـة كـريم

■ صـاـحـرـة عـن شـركـة

■ اخبـار بـهـت

■ الـمـكـانـب بـهـت -

■ ضـرـابـت بـشـام حـبـاب

■ سـنـنـا كـوئـكـوـد -

■ الطـابـق الـلـابـب

■ الـمـلـكـس:

01759500

01759597

ص. بـ 5963/113

■ الـبـلـكـات

■ الـوـكـيـل الـحـصـب

ads@al-akhtar.com

01/759500

■ الـنـومـر

■ شـركـة الـوـكـل

15 - 666314 / 01 -

03 / 828381

■ الـمـوقـع الـانـتـرـنـيـت

www.al-akhtar.com

■ صـفـحـات الـتـواصـل

■ الفـيـسـبـوك

/AlakhtarNews

■ الـتـويـتـر

@AlakhtarNews

■ الـانـسـتـغـرام

/alakhtarnews-

paper

# الفلسطينيون في الأصل والفصل

[2/1]



أظهرت المسوحات الأثرية التي جرت في مواقع فلسطينية أن الإنسان وجد في فلسطين منذ أقدم العصور (إف ب)

### أحمد الدبل\*

جُرِّدت الدراسات التوراتية لفظ «فلسطين» من أي معنى كامن فيه، ولم يعد من الممكن فهمه، إلا إذا أُعيد تعريفه من خلال لفظ ديني أو لاهوتي آخر، كالمفّظ المستعمل للدلالة على «الأرض المقدّسة» أو «أرض إسرائيل». ولكن ما بلغت النظر أكثر من ذلك، أنّه في حين أن لفظ «فلسطين» قد يكون مستعملاً، بشكل واسع، على الرغم من تجريده من أي معنى لذاته، فإن لفظ «فلسطينيون» باعتبارهم سكان هذه الأرض، هو استعمال نادر للغاية في الدراسات التوراتية، فإن كانت هناك أرض تدعى فلسطين، فلماذا لا يمكن تسمية مواطنيها بالفلسطينيين؟

تتناول هذه المقالة، في جزئها الأول، الوجود الإنساني في فلسطين منذ أقدم العصور إلى الإنسان الناطوق. أمّا الجزء الثاني، الذي سننشّره لاحقاً، فسيفضيء بصورة مفصّلة على سكان فلسطين في العصور البرونزية والحديدية، فضلاً عن تفكيك الدراسة الجينية «المجتزأة»، التي صدرت حديثاً، وصولاً إلى الإجابة من هم الفلسطينيون؟

حتى وقت قريب، كان الاعتقاد السائد أن أقدم بقايا الإنسان العظمية في فلسطين تعود لإنسان من نوع نياندرتال، وهي التي وُجدت في كهوف جبل الكرمل مثل مغارة الطابون ومغارة السخول في فلسطين، ولكن المسوحات الأثرية والحفريات التي جرت في عدة مواقع في فلسطين أبانت أن «الإنسان وجد في فلسطين منذ أقدم العصور، وأنه عاصر أقدم النماذج البشرية».

### الهومواركتوس في فلسطين

يري د. زبّيدان كخافي، أن دلائل وجود الإنسان في بلاد الشام عموماً، وفلسطين خصوصاً، تعود إلى حوالي مليون ونصف مليون عام، ويشير د. سلطان محسن، إلى أن أقدم آثار الإنسان في بلاد الشام – وبالطبع فلسطين – تعود إلى العصر الحجري القديم الأدنى، الذي بدأ هنا منذ حوالي مليون سنة، واستمر حتى حوالي مئة ألف سنة خلت، وهذا العصر يرادف ما يسمى في أوروبا بالحضارة الأشولية، ذات الانتشار العالمي الواسع والتي اشتهرت بتصنيع الفؤوس البدوية بخلاصة، لقد سكّنت منذ بداية هذا العصر بعض مناطق سوريا، ولبنان، وفلسطين، من قبل إنسان الهومواركتوس.

فقد دلت الحفلات الأثرية للإنسان منتصب القامة في فلسطين، أنه عاش فضلاً عن موقع الجبديّة، فقد وُجدت آثاره في جسر بنات يعقوب، وعلى مقربة من بحيرة الحوالة، وفي وادي قطفة في الجنوب، وفي مغارة الطابون في جبل الكرمل، وغيرها على الساحل. فقد عُثر حديثاً على عظام فخذ لإنسان الهومواركتوس في موقع جسر بنات يعقوب. يتراوح عمرها بين 600,000 و100,000 سنة خلت، بالإضافة إلى بقايا أشخاب متحجرة وأدوات خشبية هي الأهم من نوعها في المنطقة والعالم حتى الآن. والسؤال هنا: كيف وصل الهومواركتوس إلى فلسطين؟

ويدل انتشار المواقع، وتباينها الزمني، على أن الهومواركتوس، سلك في طريقة إلى بلاد الشام خطّين اثنين، يتكلمان ممرات طبيعية بين أفريقيا وآسيا، الأول ساحلي، أي على امتداد ساحل البحر الأبيض المتوسط، والخط الثاني داخلي على طول الإتهام السوري الأفريقي أو الأخدود الأفريقي العظيم المتدح من جنوب وشرق أفريقيا، مروراً بالبحر الأحمر قوادياً اللطائي، وحتى نهر العاصي في سوريا شمالاً.

### الإنسان النياندرتالي الفلسطيني

عام 1959. ويرى زويتز أن هياكل الطابون المعاصر للعصر الجليدي الأخير؛ فيبر في أوروبا؛ دخلت مجتمعات ما قبل التاريخ مرحلة جديدة؛ تُؤرخ بين حوالي (100,000 – 35,000 سنة خلت، يُطلق عليها اسم العصر الحجري الأوسط أو الباليوليت الأوسط، في هذه المرحلة، ظهر نوع جديد

من البشر هو «إنسان النياندرتال» حاملاً معه حضارة جديدة – وهي الحضارة المستبرية، أو الفلورايبة - الموسبرية، كما أطلق عليها البعض في بلاد الشام. لقد اختلف الموزاييك الحضاري؛ الذي ساد في العصر السابق؛ وتوارى في «الهومواركتوس»؛ تاركاً المسرح لخلفه «النياندرتال»؛ وُجدت أولى متحجراته في جبل طارق بإسبانيا، في سنة 1848، وكانت تلك المتحجرات هي عظام جمجمة امرأة؛ ولم تُنشر المعلومات المفضّلة عن تلك الجمجمة؛ إلا بعدما عُثِرَ في سنة 1856 على جمجمة أخرى؛ وعلى هيكل عظمي كامل لإنسان؛ في أحد كهوف وادي نياندر، بالقرب من مدينة دوزلدورف، بشمال ألمانيا. ولذلك سُمّيَ إنسان نياندرتال.

عُثِرَ في فلسطين، على هياكل بشرية من نوع نياندرتال في جبل الكرمل ما بين عامي 1924 – 1929 وذلك في كهفين: كهف الطابون وكهف السخول، وكان ذلك تحت إشراف د. دورثي غارود. ولقد نرّس هذه الهياكل ماك كاون وكيت في عام 1939، كما تناولها زويتز من ناحية تقدير عمرها في عام 1959. ويرى زويتز أن هياكل الطابون ترجع إلى فترة غير جليدية، بينما هياكل السخول ترجع إلى أوائل الفترة الجليدية الأخيرة (فيرم 1).

لقد اتَّضح أن مجامع الطابون أقلّ غلظة من مجامع نياندرتال أوروبا، ولكنها مثلها، تفتقر إلى الذقن، وذات حواف

المعلومات، حتى تُصبح أقرب إلى الحقيقة.

### هل الإنسان العاقل أصله فلسطيني؟!

إن كل المعطيات المتوفرة لدينا حتى الآن تدلّ على أن الإنسان العاقل كان النوع الإنساني الرابع والأخير في عصور ما قبل التاريخ، حيث ظهر هذا الإنسان منذ حوالي 40 ألف سنة؛ أي في العصر الحجري القديم الأعلى (الباليوليت الأعلى)، ولكنّ يذهب الباحث فرنسيس أور، إلى أن ظهوره لا يتوافق تماماً مع الباليوليت الأعلى لأنه وجد قبل ذلك بقليل في موقع قفزة في فلسطين. اعتقّد العلماء طويلاً وحتى الخمسينيات من هذا القرن بأن الإنسان الحديث (Homo Sapiens)، كان من أصل أوروبي، فبعدهما وُلِدَ ونشأ في كرومانيون (Cro-Magnon)، انتشر في قارتي آسيا وأفريقيا.

قد بتنا، منذ السبعينيات، نعلم علم اليقين بأن أسلافنا المباشرين (الأوروبيين) وُجدوا في الشرق الأوسط، قبل ذلك بنحو 60 ألف عام، وعلى ذلك، فإن ثقافتهم كانت مشابهة - إلى حدّ كبير - لثقافة إنسان نياندرتال (Neandertal)، وهو نوع بشري حدّ مختلف عن النوع الأوروبي، لقد أدت الاكتشافات المتزايدة، منذ مطلع القرن العشرين، إلى تبيان الآراء حول إنسان النياندرتال، ففي حين يعتقد بعضهم بأنّه قد تطوّر نحو الإنسان العاقل الحالي، يقول آخرون بانقراضه دون خلف - أتى من أوروبا أو غيرها، ولكنّ لا بد من

العملية التطوّرية. يعتمد أنصار تطوّر النياندرتال، على المكتشفات التي أتت من فلسطين؛ حيث وُجدت في الكثير من المغاور - مثل مغارة السخول، والأميرة، والطابون، والرظبية في جبل الكرمل، ومغارة جبل قفزة قرب النياندرتال، والإنسان العاقل فرعين متشاكلين من حيث التطوّر؛ حيث ذهب (180سم)، بالإضافة إلى الذقن البارزة، وكلها صفات متطوّرة حملها الإنسان العاقل. ولقد رافقت تلك الهياكل أدوات حجرية؛ بينها نصال مطوّرة، أيضاً؛ استخدمها الإنسان العاقل بكفاءة، في ما بعد.

كل ذلك يشير إلى أن النياندرتال تحوّل في فلسطين - بشكل تدريجي - نحو الإنسان العاقل. ومن جهة أخرى، فإن أنصار نظرية انقراض النياندرتال، يستندون إلى معطيات أتت من غرب أوروبا؛ من بعض المواقع في فرنسا (فونتوشوفاد) وألمانيا (شتاين هايم) وإنكلترا (سوانسكومب) التي وُجدتّ فيها هياكل عظمية، لا تحمل صفات مشتركة بين النياندرتال والإنسان العاقل؛ ما دُفع إلى الاعتقاد بأن النياندرتال بل يكن السلف المباشر للإنسان العاقل؛ وإلا حمل هذا الأخير صفاته، حسب رأيهم، وأن هذا السلف كان الهومواركتوس؛ مستدلينّ بانتقال

وربما تعايشا معاً، لزمّن قصير؛ أو طويل؛ قبل أن يسود النوع الأكثر تكيفاً؛ والأفضل؛ وهو الإنسان العاقل. ومهما يكن؛ فلا بد لنا، أيضاً، من قبول الحقيقة الراهنة، على الأقل، وهي أن النياندرتال الفلسطيني هو الذي تطوّر وحدة فيزيولوجياً وحضارياً نحو الإنسان العاقل جدّنا المباشر وصانع الحضارة الإنسانية، بمفهومها الشامل، وأما مصير النياندرتال الأوروبي فكان الانقراض. ولكنّ؛ للأسف هناك من يرفض قبول هذه الحقيقة؛ مثل بعض الباحثين الغربيين، وبخاصة الألمان، حيث يصعب عليه أن يكون أصله من المشرق العربي؛ مدفوعاً باعتبارات عنصرية، لا تمتّ إلى وادل مثال على ذلك، عندما قال فرانز فيدنرايخ في مؤتمر علماء الأنتروبولوجيا الطبيعية (علم الأجناس البشرية) في كوبنهاغن، قبل الحرب العالمية الثانية مباشرة: «بيدو أن الإنسان العاقل جاء من فلسطين إلى شمال أوروبا»؛ حيث ناز - حينها - المندوب النازي، وخرج من غرفة الاجتماع.

### الحضارة الناطوقية

إن اعتدال الجو، وملاءمة مناظنا لحياة الاستقرار، مَنَحًا الناس من الوصول إلى بعض أسباب التقدم وجعلتهم يتقدمون في بعض مراحل الثقافة، وبالأخص عندما خلف الإنسان وراءه حياته كجامع للغذاء، وأصبح منتجاً له، وأخذت تستقر جماعات منه على مقربة من موارد المياه، يزرعون الأرض ويستأنسون ببعض الحيوانات.

وتتمثل هذه الحضارة في بلادنا فلسطين بـ«الحضارة الناطوقية»، التي سميت لذلك باسم وادي النطوف شمالي غربي القدس، ودامت نحو سئة آلاف سنة اعتباراً من حوالي عام 12000 قبل الميلاد. ويعتبر الناطوقيون خلفاء الكباريين (الحضارة الكبارية)، ولكن بخصوصية متطورة جديدة، فقد ازادت رعة السكن، وتطورت الأدوات المصنّعة. ينتمي أصحاب تلك الحضارة إلى عنصر البحر المتوسط، تدل الهياكل العظمية التي عُثر عليها في مواقع مختلفة، على أن أصحاب هذه الثقافة كانوا أقرب إلى قصر القامة، ويمتازون بالنعافة، يحملون صفات البحر المتوسط، برأسها الطويل، وجبهها الضيق - المستكون - مثل كثير من العرب الحاليين.

في هذا الصدد يقول عالم الآثار الأميركي، وليم اولبرايث، وكان الناطوقيون انقسم من شعوب البحر المتوسط القديمة، التي تتميز بهياكل عظمية ضخمة، ورؤوس مستطيلة، وقاطع جبيلة، ومتوسط طول الرجال يزيد قليلاً على خمسة أقدام.

وحيث إنه وجدت هياكل بشرية مشابهة جداً لهذه الهياكل في حضارة البحاري في مصر، وكذلك من العصر النحاسي المتأخر في جازز وجيبيل (بيلوس)، فإنه يبدو أن هذه الشعوب انتمت إلى أسلاف السلالة السامية - الحامية التي لم تكن قد اصححت بعد منقسمة إلى مجموعات متباينة بعضها عن بعض تبايناً واضحاً لغوياً وقومياً كما حدث في ما بعد. ولعل التغيير الوحيد الملحوظ في الصفات الجسمانية حدث في الطول، غير أنه من المعروف تماماً الآن أن التحسن في التغذية لضئعة أجيال قليلة جداً نتجت منه زيادة محسوسة في الطول.

فقد كشف تحليل الحمض النووي الميتوكوندري والنووي المستخرج من سبعة هياكل عظمية عمرها 15 ألف سنة تم التحقيب عنها وإخراجها من كهف الحمام الذي يوجد بالقرب من بلدة الخروف تماماً الآن أن التحسن في التغذية لضئعة أجيال قليلة جداً نتجت منه زيادة محسوسة في الطول.

كما كشف تحليل الحمض النووي الميتوكوندري والنووي المستخرج من سبعة هياكل عظمية عمرها 15 ألف سنة تم التحقيب عنها وإخراجها من كهف الحمام الذي يوجد بالقرب من بلدة الخريفية، عن خليط من مجموعتين من الأسلاف: مجموعة من الشرق الأدنى، أكثر شبها بالصيادين - الجامعين القدامى المعروفين باسم الناطوقيين، ومجموعة أخرى غير مفهومة بشكل جيد تشبه المجموعات التي استوطنت جنوب الصحراء الكبرى في إفريقيا.

«ثمّة الآن ما يكفي من العيّنات القديمة من الشرق الأوسط وأوروبا للتأكد إلى حد

## الـبـمـا الـ3831 الـرـابـع

■ الـبـس الـحـبـر،
■ الـحـبـر الـمـسـووك،
■ ابراهيم الميث

■ نالـبـس الـحـبـر،
■ بيار ابـي صـبـب

■ حـبـر الـحـبـر،
■ مـيـفـف قـانـصـو

■ مـجـاس الـحـبـر،
■ مـحـمـد زـبـب

■ حـمـد مـلـف

■ الـبـي حـا

■ الـمـه الـشـرـيـه

■ شـركـة كـريم

■ صـاـحـرـة عـن شـركـة

■ اخبـار بـهـت

■ الـمـكـانـب بـهـت -

■ ضـرـابـت بـشـام حـبـاب

■ سـنـنـا كـوئـكـوـد -

■ الطـابـق الـلـابـب

■ الـمـلـكـس:

01759500

01759597

ص. بـ 5963/113

■ الـبـلـكـات

■ الـوـكـيـل الـحـصـب

ads@al-akhtar.com

01/759500

■ الـنـومـر

■ شـركـة الـوـكـل

15 - 666314 / 01 -

03 / 828381

■ الـمـوقـع الـانـتـرـنـيـت

www.al-akhtar.com

■ صـفـحـات الـتـواصـل

■ الفـيـسـبـوك

/AlakhtarNews

■ الـتـويـتـر

@AlakhtarNews

■ الـانـسـتـغـرام

/alakhtarnews-

paper

## ”

### النياندرتال

### تحوّلُه في

### فلسطين –

### بشكل تدريجي

### – نحو الإنسان

### العاقل

### ”

### مكّن اعتدال

### الجو الناس إلى

### بعض أسباب

### التقدم

## “

شـار بـهـت عـمـد الـسـبـت الـ10 الـبـمـا الـمـكـان

بـعـلـوات «تـصـبـر بـهـذـه الـبـا الـإـبـا»

بـمـر بـاسـم الـكـابـي الـكـاطـب الـمـوسـي

بـيـنـا كـابـيـه الـسـبـب الـبـشـري

سـمـح الـلـه بـرأـيـه، فـاضـطـه الـنـوضـح

والـانـتـدـار مـت الـخـط.